● حتى لا تُسرق الثورات

● فلـــسطين.. الحـــل

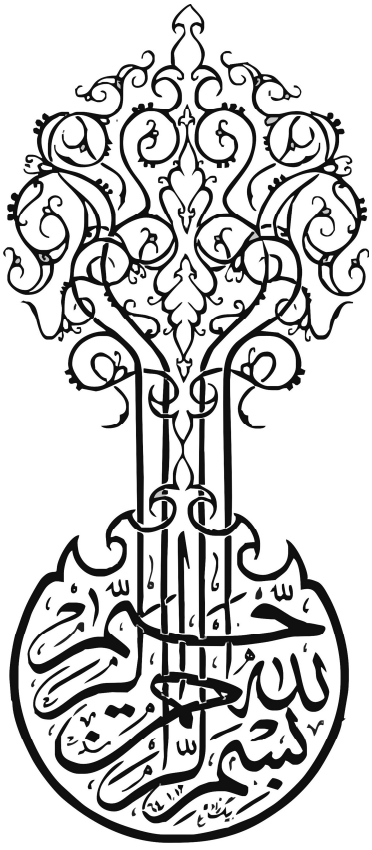
بسم الله الرحمن الرحيم

حتى لا تُسرق الثورات

خطاب قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي دام ظله في المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية الذي أقيم في العاصمة طهران، بحضور رؤساء السلطات الثلاث، وجمع غفير من الضيوف المشاركين في المؤتمر (ما يقارب ستمائة شخصية ومفكر إسلامي من سائر بلدان العالم، وأربعمائة شخصية من داخل الجمهورية الإسلامية).

الزمان: ٢٦/٦/١٣٩٠هـ.ش. ١٨/١٠/١٤٣٢هـ.ق. ١٧/٩/٢٠١١م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين.

قال الله العزيز الحكيم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾[1].

أرحّب بالحضور الكرام والضيوف الأعزاء.

إنّ ما جمعنا هنا هو الصحوة الإسلامية، أعني حالة النهوض والوعي في الأمة الإسلامية التي أدت إلى تحوّل كبير في شعوب المنطقة، وإلى انتفاضات وثورات لم تكن تستوعبها

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ١ ـ ٣.

محاسبات الشياطين الإقليميين والعالميين أبداً. ثـورات عظيمـة هدمت قلاع الاستبداد والاستكبار وألحقت الهزيمة بحرّاسها.

إنّ مما لاشك فيه أن التطورات الاجتماعيـة الكبـرى تـستند دائماً إلى خلفية تاريخية وحضارية، وهي حصيلة تراكم معرفي وتجارب طويلة. ففي الأعوام المائة والخمـسين الماضـية كـان حـضور الشخـصيات الفكريـة والجهاديـة الكبيـرة والفاعلـة الإسلامية في مصر والعراق وإيـران والهنـد والبلـدان الأخـرى الآسيوية والأفريقية مقدمة تمهيدية لهـذا الوضـع الـراهن فـي العالم الإسلامي.

إنّ ما جرى فـي العقـدين الخـامس والـسادس مـن القـرن الميلادي الماضي في عدد من البلدان من تطـورات أدت إلـى تولّي أنظمة تميل غالباً إلى مدارس فكرية مادية، حيث تورّطت بمقتضى طبيعتهـا بعـد أمـد فـي شـراك القـوى الاسـتكبارية والاستعمارية الغربية، إنّما هي من التجارب المليئة بالعبر أيـضاً وكان لها حيزاً كبيراً في بلورة الأفكار العامة والعميقة في العالم الإسلامي.

وشهدته إيران من ثورة إسلامية كبـرى، وعلـى حـد تعبيـر

الإمام الخميني العظيم هو انتصار الدم على السيف، وإقامة نظام خالد ومقتدر وشجاع ومتطوّر، وتأثيره في الصحوة الإسلامية الراهنة يشكل فصلاً مُسهباً يحتاج إلى بحث وتحقيق أيضاً، وبلا شك سيستوعب مساحة هامة في تحليل وتدوين الوضع الحالي للعالم الإسلامي.

ويتحصل من ذلك، إنّ الحقائق المتزايدة الحالية في العالم الإسلامي، ليست بحوادث منفصلة عن جذورها التاريخية وأرضيتها الاجتماعية والفكرية، ولذلك من العبث أن يعمد الأعداء أو السطحيون إلى اعتبارها موجة عابرة وحادثة سطحية، وأن يحاولوا بتحليلاتهم المنحرفة والمغرضة إطفاء جذوة الأمل في قلوب الشعوب.

إنني في حديثي الأخوي هذا أريد أن أقف عند ثلاث نقاط أساسية:

١ـ إلقاء نظرة إجمالية على هوية هذه النهضات والثورات.
٢ـ الآفات والأخطار والعقبات الكبرى التي تعترض طريقها.
٣ـ اقتراحات بشأن مواجهة هذه الآفات والأخطار ومعالجتها.

١ـ في الموضوع الأول، أعتقد إن أهم عنصر في هذه الثورات هو الحضور الواقعي والشمولي للشعوب في ميدان العمل وساحة النضال والجهاد، لا فقط بقلبهم وبعواطفهم وإيمانهم، بل بأجسامهم أيضاً.

إنّ الفرق كبير وعميق بين مثل هذا الحضور، وبين انقلاب يقوم به جمع من العسكريين أو مجموعة مناضلة مسلحة أمام شعب غير متفاعل معهم، حتى ولو كان راضياً عنهم.

في حوادث العقدين الخامس والسادس من القرن الميلادي الماضي كان عبء الثورات في عدد من بلدان آسيا وأفريقيا لا تحمله الجماهير والشباب، بل تنهض به مجموعات انقلابية أو فئات صغيرة ومحدودة مسلحة. أولئك عزموا وأقدموا، ولكن حين غيروا هم أو الجيل الذي تلاهم طريقهم على أثر دوافع وعوامل عديدة، انقلبت الثورات إلى ضدها وعاد العدو ليفرض سيطرته مرة أخرى.

إنّ هذا يختلف كل الاختلاف مع تغيير تنهض به جماهير الشعب التي تندفع بأجسامها وأرواحها إلى الميدان وتطرد العدو من الساحة.

وهنا الجماهير هي التي تصنع الشعارات، وتحدد الأهداف وتشخّص عدوّها وتفضحه وتتعقبه، وترسم ـ ولو بإجمال ـ مستقبلها، وبالنتيجة تقطع الطريق أمام الخواص المداهنين والملوثين بل أمام المندسّين، وبذلك تحول دون الانحراف ومداهنة العدو وتغيير المسار.

إنّ التحرك الجماهيري قد يؤدّي إلى تأخر الانتصار النهائي للثورة، ولكنه يبتعد عن السطحية وعن عدم الثبات. إنه الكلمة الطيبة التي قال عنها سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

إنني حين رأيت التجمع الجماهيري الضخم والمقاوم للشعب المصري الفخور من على شاشة التلفاز في ميدان التحرير أيقنت أن هذه الثورة منتصرة بإذن الله.

أذكر لكم هذه الحقيقة وهي: إنه بعد انتصار الثورة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامي في إيران وما نزل على أثر ذلك من زلزال عظيم هزّ القوى الطامعة الشرقية والغربية وما ولّده من

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

موجة هائلة فريدة بين الشعوب المسلمة. كنا نتوقع أن مصر سوف تنهض قبل غيرها. والذي أثار في قلوبنا هذا التوقع ما كنا نعرفه عن مصر من تاريخ جهادي وفكري ولما أنجبته من شخصيات مجاهدة وفكرية كبرى. لكننا لم نسمع صوتاً واضحاً من مصر. كنت مع نفسي أخاطب الشعب المصري بقول أبي فراس الحمداني:

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ

أما للهوى نهي عليك ولا أمرُ؟

ولكن حين تدفقت الجماهير المصرية إلى ساحة التحرير والساحات المصرية الأخرى سمعت الجواب، فإن الشعب المصري كان يقول لي بلسان قلبه:

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يذاع له سرُّ

هذا السّر المقدس، يعني تبلور العزم على الثورة ونضوجه في أعماق الشعب المصري بالتدريج، حيث تجلّى بإذن الله وبحوله وقوته في الساحة بشكله العظيم.

إنّ تونس واليمن وليبيا والبحرين سوف تجري على نفس

هذه القاعدة ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾[1].

لم تدوّن في مثل هذه الثورات المبادئ والقيم والأهداف في مشاريع مسبقة على يد الفئات والأحزاب، بل هي مدوّنة في أذهان كل أفراد الشعب المتواجد في الساحة وفي قلوبهم وإرادتهم، ومعلنة ومثبتة في شعاراتهم وسلوكهم.

بهذه المحاسبة يمكن بوضوح تشخيص أن أصول الثورات الحالية في مصر وبقية البلدان تتجلّى بالدرجة الأولى فيما يلي:

ـ إحياء وتجديد العزة والكرامة الوطنية التي انتُهكت على يد الهيمنة الدكتاتورية للحكام الفاسدين والسلطة السياسية لأمريكا والغرب.

ـ رفع راية الإسلام الذي يمثل العمق العقائدي والعاطفي للشعب وتوفير الأمن النفسي والعدالة والتقدم والازدهار، مما لا يتحقق إلاّ في ظلّ الشريعة الإسلامية.

ـ الصمود أمام النفوذ والسيطرة الأمريكية والأُوربية التي أنزلت خلال قرنين من الزمن أكبر الضربات والخسائر والإهانات بشعوب هذه البلدان.

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٣.

ـ النضال ضد الكيان الصهيوني الغاصب ودولته اللقيطة التي غرسها الاستعمار كخنجر في خاصرة بلدان المنطقة وجعلها وسيلة لاستمرار سلطته المتجبرة، وشرّد شعباً من أرضه التاريخية.

مما لاشك فيه إن تبنّي ثورات المنطقة لهذه الأصول وسعيها لتحقيقها لا ينسجم مع رغبات أمريكا والغرب والصهيونية، وهؤلاء يبذلون ما بوسعهم من جهد لينكروا ذلك، لكن الحقيقة لا تتغيّر بإنكارها.

إنّ شعبية هذه الثورات هي أهم عنصر في تشكيل هويتها. فالقوى الطامعة بذلت كل جهدها ومارست كل أساليبها الملتوية لحفظ الحكّام المستبدّين والفاسدين والتابعين في هذه البلدان، ولم تكفّ عن دعمهم إلاّ حينما انقطع أملها على أثر ثورة الجماهير وعزمها.

من هنا فإنّ هذه القوى لا يحق لها أن تعتبر نفسها مساهمة في هذه الثورات. وفي بلد مثل ليبيا لا يستطيع تدخّل أمريكا والناتو أن يكدّر هذه الحقيقة، في ليبيا أنزل الناتو خسائر فادحة لا تعوّض، فلو لم يكن هذا التدخّل لكان من الممكن أن يتأخر

انتصار الشعب الليبي قليلاً، لكن لم ينزل بالبلد كل هذا الدمار في بُناه التحتية، ولا تزهق كل هذه الأرواح من النساء والأطفال، ولما ادّعى أولئك الأعداء الذين كانت يدهم لسنوات بيد القذافي بأنّ لهم حق التدخّل في هذا البلد المظلوم المُدمّر.

إن جماهير الشعب والنخب الجماهيرية والذين انطلقوا من الجماهير هم أصحاب هذه الثورات والأمناء على حراستها والذين يرسمون مستقبلها ويدفعون بعجلتها إن شاء الله تعالى.

٢ـ موضوع الآفات والأخطار، لابد من التأكيد أولاً إن الآفات والأخطار موجودة، ولكن هناك سبلاً للوقاية منها أيضاً. لا ينبغي أن تكون الأخطار مبعث خوف للشعوب، دعوا الأعداء يخافوكم واعلموا ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[١]، ربّ العزة والجلال يقول بشأن فئة من المجاهدين في عصر الرسالة: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وقالُوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣، ١٧٤.

لابدّ من معرفة الأخطار والآفات للوقاية من الحيرة والترديد عند مواجهتها، ولنكون على معرفة مسبقة بتشخيص علاجها.

إننا واجهنا هـذه الأخطـار بعـد انتـصار الثـورة الإسـلامية وعرفناها وجربناها وخرجنا من أكثرها بسلام بفضل الله وقيـادة الإمام الخميني ووعي جماهيرنا وبصيرتهم وتضحياتهم. طبعـاً لا يزال الأعداء يحوكون المؤامرات ولا يزال الشعب يقاوم بعزيمة راسخة لا تلين.

إنني أقسّم هذه الأخطار والآفات إلى قسمين: مـا كـان لهـا جذور في داخلنا وتنبثق من ضـعفنا، ومـا هـي نتيجـةً مباشـرةً لتخطيط أعدائنا.

القسم الأول هو من قبيل: الشعور والظن بأن سقوط الحـاكم العميل والفاسد والديكتاتور هو نهاية الطريـق. إن هـذا سـوف يبعث على الارتخاء وراحة البال والغرق في نشوة النـصر، ومـا يتبع ذلك من ضعف الدوافع وهبوط العزائم. هـذا هـو الخطـر الأول. وسوف يتفاقم هذا الخطـر حـين يعمـد أشـخاص إلـى الحصول على حصة خاصة في الغنيمة. ما جـرى فـي (معركـة أُحد) حيث طمع المحافظون على مضيق الجبـل بالغنيمـة ومـا

أدى ذلك إلى هزيمة المسلمين وإلى لوم ربّ العالمين إنما هو نموذج بارز ينبغي أن لا ننساه أبداً.

إن الشعور بالخشية من الهيمنة الظاهرية للمستكبرين والإحساس بالخوف من أمريكا وسائر القوى الطامعة، خطر آخر من هذا القبيل، ولا بّد من توخّيه. فعلى النخب الشجاعة والشباب أن يطردوا من قلوبهم هذا الخوف.

إنّ الثقَة بالعدوّ والانخداع بابتسامته ووعوده ودعمه إنما هو من الآفات الكبرى الأخرى التي يجب أن يحذر منها النخب وقادة المسير بشكل خاص. يجب معرفة العدوّ بعلاماته مهما تلبس من لباس وصيانة الشعب والثورة من كيده الذي يدبره في مواضع خلف ستار الصداقة ومّد يد المساعدة. ومن جانب آخر قد يعتري الأفراد غرور ويحسبون العدوّ غافلاً، لا بّد من اقتران الشجاعة بالتدبير والحزم وحشد كل الإمكانات الإلهية في وجودنا لمواجهة شياطين الجنّ والإنس.

إنّ إثارة الاختلافات وخلق الصراعات بين الثوريين والنفوذ من خلف جبهة النضال هي أيضاً من الآفات الكبرى التي يجب الفرار منها بكل ما أوتينا من قوة.

أما أخطار القسم الثاني:

فإنّ شعوب المنطقة قد جربتها غالباً في الحوادث المختلفة. وأولها تولّي الأمور لعناصر تعتقد أن لها التزامات أمام أمريكا والغرب. فالغرب يسعى بعد السقوط الاضطراري للعناصر التابعة أن يحافظ على أصل النظام والمحاور المفصلية للقدرة ويضع رأساً آخر على هذا البدن وبذلك يواصل فرض سيطرته. وهذا يعني إهدار كل المساعي والجهود، وفي هذه الحالة؛ إن واجهوا مقاومة الجماهير ووعيها فسوف يسعون إلى بدائل انحرافية أخرى يضعونها أمام الثورة والجماهير. هذه البدائل يمكن أن تتمثل باقتراح نماذج للحكم والدستور تدفع بالبلدان الإسلامية مرة أخرى إلى شراك التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية للغرب، ويمكن أن تتمثل في اختراق صفوف الثورة وتقديم الدعم المالي والإعلامي لتيار مشكوك وعزل التيارات الثورية الأصلية. وهذا يعني أيضاً عودة هيمنة الغرب وتثبيت النماذج المتهرئة الغربية البعيدة عن مبادئ الثورة ثم سيطرة الأجنبي على الأوضاع.

ولو أنّ هذه الخطط لم تفلح بأجمعها فإن تجربتنا تقول إنهم

سيعمدون إلى أساليب منها إثارة الفوضى والإرهاب والحرب الداخلية بين أتباع الأديان أو القوميات والقبائل والأحزاب، بل بين الشعوب والبلدان الجارة إلى جانب، وفرض الحصار الاقتصادي والمقاطعة وتجميد الأرصدة الوطنية وكذلك الهجوم الشامل الإعلامي والدعائي من جانب آخر. إنّ الهدف من وراء كل ذلك هو جعل الشعوب تشعر بالتعب واليأس، والثوار بالترديد والندم، والأعداء يعلمون أن مثل هذه الحالة تيسّر هزيمة الثورة وتمكّنها. اغتيال النخب الصالحة والفاعلة والإساءة إلى سمعة الآخرين، ومن جهة أخرى شراء ذمم العناصر الهزيلة هي أيضاً من الأساليب المتداولة للقوى الغربية وأدعياء الحضارية والأخلاق!!.

إنّ وثائق وكر التجسس الأمريكي التي وقعت بيد الثورة الإسلامية في إيران، أوضحت بدقة أنّ كل هذه الدسائس قد خطط لها نظام الولايات المتحدة الأمريكية. إعادة الرجعية والاستبداد والحاكمية التابعة في البلدان الثورية مبدأ يجيز لهم ممارسة كل هذه الأساليب القذرة.

٣ـ وفي آخر قسم من حديثي أضع أمام تشخيصكم

وانتخابكم توصيات استقيها من تجاربنا العينية في إيـران ومـن مطالعة دقيقة لبقية البلدان.

من المؤكد أنّ ظروف الشعوب والبلدان ليـست علـى نحـو واحد في جميع الأمور. لكن ثمة بيّنات بإمكانها أن تكون مفيدة للجميع.

أول الحديث هو أنه من الممكن تخطّى كل هـذه العقبـات والتغلّب على الآفات واجتيازها اجتياز منتصر بالاتكال علـى الله والاعتماد عليه وحسن الظن بما ورد في كتابه العزيز من وعـده بالنصر، والتحلّي بالعقلانية والعزيمة والشجاعة، إنكم طبعـاً قـد نهضتم بعمل كبير ومصيري. لذلك لا بّد أن تتحملوا مـن أجلـه أيضاً متاعب كبيرة. إنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام يقـول: «فَـإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ ورَخَاءٍ ولَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وبَلَاءٍ وفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ومَا اسْـتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ...»[1].

نصيحتي الهامة هي أن تروا أنفسكم دائماً في الساحة: ﴿فَـإِذَا

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٧.

فَرَغْتَ فَانْـصَبْ﴾[١]، واجعلوا الله سبحانه نصب أعينكم وثقوا بأنه في عونكم ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَـبْ﴾[٢]، وأن لا تكـون الانتـصارات مبعث غرور وغفلـة: ﴿إذا جـاءَ نَـصْرُ اللهِ والْفَـتْحُ ۞ ورَأَيْـتَ النّـاسَ يَدْخُلُونَ في دينِ اللهِ أَفْواجـاً ۞ فَـسَبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّـكَ واسْـتَغْفِرْهُ اِنّـهُ كانَ تَوّاباً﴾[٣]، هذه دعامات حقيقية لكل شعب مؤمن.

نصيحتي الأخرى إعادة قراءة أصول الثورة بـشكل مـستمر. الشعارات والأصول يجب أن تخضع للتنقيح والتطبيق مع أصول الإسـلام ومحكماتـه. الاسـتقلال والحريـة والعدالـة وعـدم الاستسلام أمام الاستبداد والاستعمار ورفـض التمييـز القـومي والعنصري والمذهبي ورفض الصهيونية رفضاً صريحاً هي التـي تشكل أركان النهضات المعاصرة في البلدان الإسـلامية، وهـي بأجمعها مستقاة من الإسلام والقرآن.

دوّنوا مبادئكم، وحافظوا بحساسية كبيرة على أصـالتكم، ولا

(١) سورة الشرح، الآية: ٧.
(٢) سورة الشرح، الآية: ٨.
(٣) سورة النصر.

تسمحوا لأعدائكم بتدوين نظام مستقبلكم، لا تدعوا أصولكم الإسلامية تُقدّم قرباناً على مذبح المصالح العابرة.

إن الانحراف في الثورات يبدأ من الانحراف في الشعارات والأهداف، لا تثقوا إطلاقاً بأمريكا والناتو وبالأنظمة المجرمة مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا التي جثمت لأمد طويل على صدور بلدانكم ووزّعت بينها بلدانكم ونهبت ثرواتكم، تعاملوا معها بسوء ظن ولا تصدّقوا ابتساماتهم، فوراء هذه الابتسامات والوعود تكمن الخيانات والمؤامرات. ابحثوا عن حلولكم من منبع الإسلام الفيّاض وردّوا وصفات الأجانب إليهم.

نصيحتي المهمة الأخرى هي الحذر من الاختلافات المذهبية والقومية والعنصرية والقبلية والحدودية. اعترفوا بالاختلافات ووجّهوها بإدارة حاذقة، فالتفاهم بين المذاهب مفتاح النجاة.

أولئك الذين يثيرون نيران التفرقة المذهبية أو يعمدون إلى تكفير هذا وذاك، هم عملاء الشيطان وجنده حتى لو لم يعلموا هم بذلك.

إقامة النظام عمل كبير وأساسي، إنه عمل معقد وصعب.

لا تـــدعوا النمـــاذج العلمانيـــة أو الليبراليـــة الغربيـــة، أو القومية المتطرفة، أو الاتجاهـات اليـسارية الماركـسية تُفـرض عليكم.

إنّ المعسكر الشرقي قد انهـار والمعـسكر الغربـي يتـشبث بالعنف والحرب والخداع، ليحافظ على بقائه ولـيس لـه عاقبـة خير متصورة في الأفق.

مرور الزمان بضررهم ولصالح تيار الإسلام، والهدف النهائي يجب أن يتمثل في التوجه نحو الأمة الواحدة الإسـلامية، وبنـاء الحضارة الإسلامية الجديدة على أساس الدين والعقلانية والعلم والأخلاق.

تحرير فلسطين من مخالب الـوحش الـصهيوني هـو أيـضاً هدف كبير، فبلدان البلقان والقوقاز وغرب آسيا قد تحررت من سيطرة الاتحاد السوفيتي السابق بعد ثمانين سنة من الاحـتلال، فلماذا لا تستطيع فلسطين المظلومة بعد سبعين سـنة أن تتحـرر من أسر السيطرة الصهيونية؟!

إنّ الجيل المعاصر في البلدان الإسلامية له قـدرة النهـوض بمثل هذا العمل الكبير. إنّ جيل الشباب اليوم مبعث فخـر لمَـنْ

سبقه من أجيال. يقول الشاعر العربي:

قالوا أبو الصخر من شيبان قلت لهم

كلا لعمري ولكن منه شيبانُ

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُري شَرَفٍ

كما علا برسولِ الله عدنانُ

عليكم أن تثقوا بجيل شبابكم، أحيوا روح الثقة بالنفس في وجودهم وغذّوهم بتجارب الآباء والأجداد.

وثمة ملاحظتان مهمتان في هذا المجال:

الأولى: إنّ إحدى أهم مطالب الشعوب الثائرة والمتحررة هي أن يكون لها الحضور وأن يكون لأصواتها الدور الحاسم في إدارة البلاد.

ولما كانت هذه الشعوب مؤمنة بالإسلام فإن مطلوبها هو (نظام السيادة الشعبية الإسلامية) أي إن الحكام يُنتخبون وفق تصويت الناس، وأن تكون القيم والأصول الحاكمة على المجتمع وفق أصول قائمة على المعرفة والشريعة الإسلامية.

وهذا يمكن تحقيقه في البلدان المختلفة بأساليب وأشكال

مختلفة بمقتضى ظروفها، لكن يجب المراقبة بحساسية كاملة كي لا يختلط هذا المشروع بالديمقراطية الليبرالية الغربية، الديمقراطية الغربية العلمانية أو المعادية للدين أحياناً ليس لها أي ارتباط بسيادة الشعب الإسلامية الملتزمة بالقيم وبالخطوط الأصلية الإسلامية في نظام البلاد.

الملاحظة الثانية: إنّ التوجّه الإسلامي يجب أن لا يختلط بالتحجّر والقشرية والتعصب الجاهل والمتطرف.

لا بدّ أن يكون الفاصل بين هذين الاثنين واضحاً. التطرف الديني المقرون غالباً بالعنف الأعمى هو سبب التخلف والابتعاد عن الأهداف السامية للثورة، وهذا بدوره سبب ابتعاد الجماهير وفي النتيجة سيكون عامل فشل الثورة.

خلاصة القول، إنّ الكلام عن الصحوة الإسلامية ليس بحديث عن مفهوم مبهم غير مشخص يقبل التأويل والتفسير. إنه حديث عن واقع خارجي مشهود ومحسوس ملأ الأجواء وفجّر الثورات الكبرى وأسقط عناصر خطرة في جبهة الأعداء وأخرجهم من الساحة. ومع ذلك فالساحة لا تزال هشّة وتحتاج إلى بلورة وإلى تحقيق الأهداف النهائية.

إن الآيات التي تُليت في مطلع الحديث تشتمل على منهج كامل للعمل وله الفاعلية الدائمة وخاصة في هذه البرهة الحساسة المصيرية. إنها تخاطب النبي الأكرم ﷺ لكننا جميعا في الحقيقة مخاطبون بها ومكلفون.

أول توصية في هذه الآيات بالتقوى بمعناها السامي والواسع، ثم رفض طاعة الكافرين والمنافقين، ثم إتباع الوحي وبالتالي التوكل على أالله والاعتماد عليه.

مرة أخرى أمرّ على هذه الآية الكريمة: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

فلسطين.. الحل

خطاب قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي دام ظله في المؤتمر الدولي الخامس لدعم الانتفاضة الفلسطينية، الذي أقيم في العاصمة طهران، بحضور: رؤساء السلطات الثلاث، وجمع غفير من الضيوف المشاركين في المؤتمر (رؤساء المجالس النيابية من بعض الدول، ووفود من مائة بلد).

الزمان: ١٣٩٠/٧/٩هـ.ش. ١٤٣٢/١١/٣هـ.ق.١/١٠/٢٠١١م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الله الحكيم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

أرحب بالضيوف الأعزاء وجميع الحضور المحترمين.

تتميز القضية الفلسطينية بخصوصية فريدة من بين كل

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩، ٤٠.

الموضوعات التي يجدر بالنخبة الدينية والسياسية في كل العالم الإسلامي أن تتطرق لها. فلسطين هي القضية الأولى بين كل الموضوعات المشتركة للبلدان الإسلامية. وثمة خصوصيات منقطعة النظير في هذه القضية:

أولاً: أن يُغتصب بلد مسلم من شعبه، ويُعطى لأجانب جُمّعوا من بلدان شتى، وكوّنوا مجتمعاً مزيفاً وغير متجانس.

ثانياً: إنّ هذا الحدث غير المسبوق في التاريخ جرى بواسطة المذابح والجرائم والظلم والإهانات المستمرة.

ثالثاً: إنّ قبلة المسلمين الأولى والكثير من المراكز الدينية المحترمة في هذا البلد مهدّدة بالهدم والامتهان والزوال.

رابعاً: إنّ هذه الحكومة والمجتمع المزيفين قد مارسا ـ في أكثر مناطق العالم الإسلامي حساسيةـ منذ بداية ظهورهما وإلى الآن دور القاعدة العسكرية والأمنية والسياسية للحكومات الاستكبارية. وإنّ المحور الغربي الاستعماري الذي هو ولأسباب متعددّة عدو اتحاد البلدان الإسلامية ورفعتها وتقدمها، قد استخدمها كالخنجر في خاصرة الأمة الإسلامية.

خامساً: إنّ الصهيونية التي تعدّ خطراً أخلاقياً وسياسياً

واقتصادياً كبيراً على المجتمع البشري قد استخدمت محطّ الأقدام هذه وسيلة ونقطة انطلاق لتوسيع نفوذها وهيمنتها في العالم.

ويمكن إضافة نقاط أخرى للنقاط السابقة، منها التكاليف المالية والبشرية الجسيمة التي تحمّلتها البلدان الإسلامية لحد الآن، والانشغال الذهني للحكومات والشعوب المسلمة، ومعاناة ومحن ملايين المشردين الفلسطينيين الذين لا يزال البعض منهم يعيشون لحد الآن وبعد ستة عقود في المخيمات، والانقطاع التاريخي لقطب حضاري مهم في العالم الإسلامي، وإلى غير ذلك.

وقد أضيفت اليوم نقطة أساسية أخرى إلى تلك النقاط، ألا وهي نهضة الصحوة الإسلامية التي عمّت كل المنطقة، وفتحت فصلاً جديداً حاسماً في تاريخ الأمة الإسلامية. هذه الحركة العظيمة التي يمكنها بلا شك أن تؤدي إلى إيجاد منظومة إسلامية مقتدرة ومتقدمة ومنسجمة في هذه المنطقة الحساسة من العالم وتضع بحول الله وقوته وبالعزيمة الراسخة لرواد هذه النهضة نهاية لعصر التخلف والضعف والمهانة الذي عاشته

الشعوب المسلمة، استمدت جانباً مهماً من طاقتها وحماسها من قضية فلسطين.

إنّ الظلم والعسف المتصاعد الذي يمارسه الكيان الصهيوني ومواكبته من قبل بعض الحكام المستبدين الفاسدين المرتـزقين لأمريكا من جهة، وانبعاث المقاومة الفلسطينية واللبنانية الباسلة، ومعجزة انتصارات الشباب المؤمن في حربي الـ ٣٣ يومـاً فـي لبنان والـ ٢٢ يوماً في غزة من جهـة أخـرى، هـي مـن جملـة العوامل المهمة التي أطلقت الطوفـان فـي المحـيط الهـادئ ـ بحسب الظاهر ـ لـشعوب مـصر وتـونس وليبيـا وبـاقي بلـدان المنطقة.

إنها لحقيقة، إنّ الكيان الصهيوني المدجّج بالسلاح والمدعي أنّه عصي على الهزيمة قد تلقى في حرب غير متكافئة في لبنان هزيمة قاسية مذلة من القبضات المشدودة للمجاهدين المؤمنين الأبطال، وبعد ذلك اختبر سيفه الكليل مرة أخرى أمام المقاومـة الفولاذية المظلومة لغزة وذاق طعم الإخفاق.

هذه أمور يجب أخذها بعـين الجـدّ فـي تحليـل الأوضـاع الحالية للمنطقة، وقياس صحة أي قرار يتخذ على ضوئها.

إذن، إنه لرأي وحكم دقيق وأن قضية فلسطين اكتسبت اليوم أهمية وفورية مضاعفة، وفي الوضع الراهن للمنطقة من حق الشعب الفلسطيني أن يتوقع المزيد من البلدان المسلمة.

لنلق نظرة على الماضي والحاضر ونرسم خارطة طريق للمستقبل. وأنا أطرح هاهنا بعض رؤوس النقاط.

مضت على فاجعة اغتصاب فلسطين أكثر من ستة عقود، وجميع المسبّبين الرئيسيين لهذه الفاجعة الدامية معروفون، وعلى رأسهم الحكومة البريطانية المستعمرة، حيث استخدمت سياستها وقواها العسكرية والأمنية والاقتصادية والثقافية ـ هي وسائر الحكومات الغربية والشرقية المستكبرة من بعد ذلك ـ لخدمة هذا الظلم الكبير. وقد طُرد الشعب الفلسطيني المشرد تحت وطأة قبضات المحتلين التي لا تعرف الرحمة، وأُبيد وأُخرج من موطنه ودياره. وإلى اليوم لم يصوّر حتى واحد بالمائة من الفاجعة الإنسانية والمدنيّة التي وقعت على يد أدعياء التحضر والأخلاق في ذلك الحين، ولم تحظ بنصيب من الفنون الإعلامية والمرئية، فهذا ما لم يشأه كبار أرباب الفنون التصويرية والسينمائية والتلفزيونية والمافيات الغربية لإنتاج

الأفلام، ولم يسمحوا به. شعب كامل أبيد وشرّد وسط صمت مطبق.

ظهرت حالات المقاومة في بداية الأمر، وقد قُمعت بقسوة وشدة، وبذل رجال على الحدود الفلسطينية وخصوصاً من مصر جهوداً بمحفزات إسلامية، لكنها لم تحظ بالدعم اللازم ولم تستطع التأثير في الساحة.

وبعد ذلك جاء الدور للحروب الرسمية والكلاسيكية بين عدة بلدان عربية والجيش الصهيوني، حيث جندت مصر وسورية والأردن قواتها العسكرية في الساحة، لكن المساعدات العسكرية والإمدادية والمالية السخية والزاخرة والمتزايدة التي قدمتها أمريكا وبريطانيا وفرنسا للكيان الغاصب فرضت الإخفاق على الجيوش العربية. إنهم لم يعجزوا عن مساعدة الشعب الفلسطيني وحسب، بل خسروا أجزاء مهمة من أراضيهم في هذه الحروب.

ومع اتضاح عجز الحكومات العربية الجارة لفلسطين تكوّنت تدريجياً خلايا المقاومة المنظمة في معظم الجماعات الفلسطينية المسلحة، وبعد فترة من اجتماعها تأسست منظمة التحرير

الفلسطينية. وكان هذا بصيص أمل تألق تألقاً حسناً لكنه لم يستمر طويلاً حتى انطفأ. ويمكن ردّ هذا الإخفاق إلى العديد من الأسباب، بيد أن السبب الرئيسي هو ابتعادهم عن الجماهير وعن عقيدتهم وإيمانهم الإسلامي. فالإيديولوجية اليسارية أو مجرد المشاعر القومية لم تكن الشيء الذي تحتاجه قضية فلسطين المعقدة الصعبة. إنّ الذي كان بوسعه إنزال شعب بكامله إلى ساحة المقاومة وخلق قوة عصيّة على الهزيمة من أبناء الشعب هو الإسلام والجهاد والشهادة. أولئك لم يدركوا هذه الفكرة بصورة صحيحة. ففي الأشهر الأولى لانتصار الثورة الإسلامية الكبرى حيث كان زعماء منظمة التحرير الفلسطينية قد اكتسبوا معنويات جديدة وراحوا يتردّدون على طهران، سألت إحدى شخصياتهم المهمة: لماذا لا ترفعون راية الإسلام في كفاحكم الحق؟ فكان جوابه: إنّ بيننا بعض المسيحيين. وبعد ذلك اغتيل هذا الشخص في إحدى البلدان العربية على يد الصهاينة، نتمنى أن يشمله الله بغفرانه إن شاء الله، لكن استدلاله هذا كان ناقصاً وغير ناهض. إنني أعتقد بأنّ المناضل المسيحي المؤمن يكتسب محفزات أكبر وأكثر للنضال عندما يكون إلى

جانب جماعة مجاهدة مضحية مقاتلة بإخلاص من منطلق الإيمان بالله والقيامة والأمل بالمعونة الإلهية ومتمتعة بالدعم المادي والمعنوي من شعبها، مما لو كان إلى جانب جماعة عديمة الإيمان ومعتمدة على مشاعر متزعزعة بعيدةً عن الإسناد الشعبي الوفي.

إنّ عدم توفر الإيمان الديني الراسخ، والانقطاع عن الشعب جعلهم بمرور الزمن عاجزين وعديمي التأثير. طبعاً كان بينهم رجال شرفاء ومتحفزون وغيورون، بيد أن الجماعة والتنظيم سار في طريق آخر. وقد وجّه انحرافهم هذا ولا يزال يوجّه الضربات للقضية الفلسطينية. هم كذلك أعرضوا وكبعض الحكومات العربية الخائنة عن أهداف المقاومة التي كانت ولا تزال السبيل الوحيد لإنقاذ فلسطين، وقد وجّهوا الضربات لا لفلسطين وحسب بل لأنفسهم أيضاً. وعلى حد تعبير الشاعر المسيحي العربي:

لئن أضعتم فلسطيناً فعيشكم
طول الحياة مضاضات وآلام

وهكذا مضت اثنتان وثلاثون سنة من عمر النكبة.. لكن يد

القدرة الإلهية قلبت الصفحة فجأة. وقلب انتصار الثورة الإسلامية في إيران في سنة ١٩٧٩ (١٣٥٧ هجري شمسي) الأوضاع في هذه المنطقة رأساً على عقب، وفتح صفحة جديدة. ومن بين التأثيرات العالمية المذهلة لهذه الثورة، كانت الضربة التي وجّهتها للحكومة الصهيونية هي الأسرع والأوضح من بين الضربات الشديدة والعميقة التي وجّهتها للسياسات الاستكبارية. وكانت تصريحات ساسة الكيان الصهيوني في تلك الأيام جديرة بالقراءة وتنم عن وضعهم الأسود الغارق في الاضطراب. ففي الأسابيع الأولى للانتصار أغلقت السفارة الإسرائيلية في طهران، وأخرج العاملون فيها، وجرى تسليم مكانها رسمياً لممثلي منظمة التحرير الفلسطينية، وهم موجودون هناك لحد الآن. أعلن إمامنا الجليل أن إحدى أهداف هذه الثورة هو تحرير الأرض الفلسطينية واستئصال غدة إسرائيل السرطانية. فالأمواج القوية لهذه الثورة التي عمّت العالم كله في ذلك الحين حملت معها أينما ذهبت هذه الرسالة: (يجب تحرير فلسطين). إنّ المشاكل المتتابعة والكبيرة التي فرضها أعداء الثورة على نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإحداها حرب

الأعوام الثمانية التي شنها نظام صدام حسين بتحريض من أمريكا وبريطانيا ودعم الأنظمة العربية الرجعية، لم تستطع هي الأخرى سلب الجمهورية الإسلامية محفزات الدفاع عن فلسطين.

وهكذا تم ضخّ دماء جديدة في عروق فلسطين، وانبثقت الجماعات الفلسطينية المجاهدة الإسلامية، وفتحت المقاومة في لبنان جبهة قوية جديدة أمام العدو وحماته. كما أنّ فلسطين قد اعتمدت على نفسها وعلى شبابها وعلى إيمانها الإسلامي العميق وعلى رجالها ونسائها المضحين، بدل الركون إلى الحكومات العربية ومن دون مدّ اليد للأوساط العالمية من قبيل منظمة الأمم المتحدة ـ وهي شريكة إجرام الحكومات الاستكبارية ـ. هذا هو مفتاح كل الفتوحات والنجاحات.

لقد تقدم هذا السياق وتصاعد خلال العقود الثلاثة الأخيرة يوماً بعد يوم. وكانت الهزيمة الذليلة للكيان الصهيوني في لبنان عام ٢٠٠٦ (١٣٨٥ هجري شمسي)، والإخفاق الفاضح الذي مني به ذلك الجيش المتشدق في غزة سنة ٢٠٠٨ (١٣٨٧ هجري شمسي)، والفرار من جنوب لبنان والانسحاب من غزة،

وتأسيس حكومة المقاومة في غزة، وبكلمة واحدة تحول الشعب الفلسطيني من مجموعة أناس يائسين عاجزين إلى شعب متفائل مقاوم له ثقته بنفسه، كانت هذه كلها من الخصائص البارزة للأعوام الثلاثين الأخيرة.

هذه الصورة الكلية الإجمالية سوف تكتمل حينما ينظر بصورة صحيحة للتحركات الاستسلامية والخيانية التي تهدف إلى إطفاء المقاومة وانتزاع الاعتراف الرسمي بشرعية إسرائيل من الجماعات الفلسطينية والحكومات العربية. هذه التحركات التي بدأت على يد الخليفة الخائن واللاخلف لجمال عبد الناصر في معاهدة كامب ديفيد المخزية أرادت دوماً ممارسة دور التثبيط حيال العزيمة الفولاذية للمقاومة. ففي معاهدة كامب ديفيد اعترفت حكومة عربية رسمياً ولأول مرة بصهيونية الأراضي الإسلامية في فلسطين، وتركت توقيعها تحت سطور اعترفت بإسرائيل داراً قومياً لليهود.

وبعد ذلك وصولاً إلى معاهدة أوسلو في سنة ١٩٩٣ (١٣٧٢ هجري شمسي) والمشاريع التكميلية الأخرى التي أعقبتها والتي أدارتها أمريكا، وواكبتها البلدان الأوربية الاستعمارية، وفُرِضت

عبئاً على عاتق الجماعات الاستسلامية الكسولة من الفلسطينيين، انصبت كل مساعي العدو على صرف الشعب والجماعات الفلسطينية عن خيار المقاومة بوعود مخادعة جوفاء وإشغالهم بألاعيب صبيانية في الساحات السياسية. وسرعان ما تجلى عدم اعتبار كل هذه المعاهدات، وأثبت الصهاينة وحماتهم مراراً أنهم ينظرون لما كتب على أنه مجرد قصاصات ورق لا قيمة لها. كان الهدف من هذه المشاريع بث الشكوك والترديد في قلوب الفلسطينيين، وتطميع عديمي الإيمان وطلاب الدنيا، وشلّ حركة المقاومة الإسلامية ليس إلا.

وقد كان المضاد لهذا السمّ في كل هذه الألاعيب الخيانية لحد الآن هو روح المقاومة لدى الجماعات الإسلامية والشعب الفلسطيني. لقد صمد هؤلاء أمام العدو بإذن الله، وكما وعد الله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، فقد حظوا بالمعونة والنصرة الإلهية. لقد كان صمود غزة على الرغم من المحاصرة المطلقة نصراً إلهياً. وسقوط النظام الخائن الفاسد لحسني مبارك نصراً إلهياً، وظهور موجة الصحوة الإسلامية القوية في المنطقة نصراً إلهياً، وسقوط أستار النفاق والزيف عن وجوه أمريكا

وبريطانيا وفرنسا، والكراهية المتصاعدة لشعوب المنطقة لهم كان نصراً إلهية. والمشكلات المتتابعة والعصية على الحصر للكيان الصهيوني ابتداءً من المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية إلى عزلته العالمية والكراهية العامة له حتى في الجامعات الأوربية، كلها من مظاهر النصرة الإلهية.

إنّ الكيان الصهيوني اليوم مكروه وضعيف ومعزول أكثر من أي وقت آخر، وحاميته الرئيسية أمريكا مبتلاة متحيرة أكثر من أي وقت آخر.

إنّ الصفحة الكلية والإجمالية لفلسطين طوال نيف وستين عاماً الماضية أمام أنظارنا حالياً. ينبغي تنظيم المستقبل بالنظر لهذا الماضي واستلهام الدروس منه.

ينبغي قبل كل شيء إيضاح نقطتين:

الأولى: إنّ دعوانا هي تحرير فلسطين وليس تحرير جزء من فلسطين. أيّ مشروع يهدف إلى تقسيم فلسطين مرفوض بالمرة. مشروع الدولتين الذي خلعوا عليه لبوس الشرعية «الاعتراف بحكومة فلسطين كعضو في منظمة الأمم المتحدة» ليس سوى الاستسلام لإرادة الصهاينة، أي (الاعتراف للدولة الصهيونية

بـالأرض الفلـسطينية). وهـذا معنـاه سـحق حقـوق الـشعب الفلسطيني وتجاهل الحق التاريخي للمشردين الفلسطينيين، بـل وتهديد حقوق الفلسطينيين الساكنين على أراضي ١٩٤٨. وهـو يعني بقاء الغدة السرطانية والتهديد الدائم لجسد الأمة الإسلامية وخصوصاً شعوب المنطقـة. وهـو بمعنـي تكـرار آلام ومحـن عشرات الأعوام وسحق دماء الشهداء.

أيّ مشروع عملي يجب أن يكون على أسـاس مبـدأ: (كـل فلسطين لكل الشعب الفلسطيني). فلسطين هـي فلـسطين (مـن النهر إلى البحر)، وليس أقل من ذلك حتى بمقـدار شـبر. طبعـاً يجب عدم نسيان أن الشعب الفلـسطيني كمـا فعـل فـي غـزة، سوف يتولي إدارة شؤونه بنفسه عن طريق حكومته المنتخبة في أي جزء من تراب فلسطين يستطيع أن يحرره، لكنه لـن ينـسى الهدف النهائي على الإطلاق.

النقطة الثانية: هي من أجل الوصول إلى هذا الهدف الـسامي لا بد مـن العمـل ولـيس الكـلام، ولا بـد مـن الجـدّ ولـيس الممارسـات الاستعراضـية، ولا بـد مـن الـصبر والتـدبير لا السلوكيات المتلونة غير الصبورة. ينبغي النظـر للآفـاق البعيـدة

والتقدم للأمام خطوة خطوة بعزم وتوكل وأمل. يمكن لكل واحدة من الحكومات والشعوب المسلمة والجماعات المقاومة في فلسطين ولبنان وباقي البلدان أن تعرف نصيبها ودورها من هذا الجهاد العام، وأن تملأ بإذن الله جدول المقاومة.

إنّ مشروع الجمهورية الإسلامية لحل قضية فلسطين ولمداواة هذا الجرح القديم مشروع واضح ومنطقي ومطابق للعرف السياسي المقبول لدى الرأي العام العالمي، وقد سبق أن عرض بالتفصيل. إننا لا نقترح الحرب الكلاسيكية لجيوش البلدان الإسلامية، ولا رمي اليهود المهاجرين في البحر، ولا طبعاً تحكيم منظمة الأمم المتحدة وسائر المنظمات الدولية. إننا نقترح إجراء استفتاء للشعب الفلسطيني. من حق الشعب الفلسطيني كأي شعب آخر أن يقرر مصيره ويختار النظام الذي يحكم بلاده. يشارك كل الفلسطينيين الأصليين من مسلمين ومسيحيين ويهود ـ وليس المهاجرون الأجانب ـ أين ما كانوا، في داخل فلسطين أوفي المخيمات أوفي أي مكان آخر، في استفتاء عام ومنضبط ويحددوا النظام المستقبلي لفلسطين. وبعد أن يستقر ذلك النظام والحكومة المنبثقة عنه سوف يقرر أمر

المهاجرين غير الفلسطينيين الذين انتقلوا إلى هذا البلد خلال الأعوام الماضية. هذا مشروع عادل ومنطقي يستوعبه الرأي العام العالمي بصورة صحيحة، ويمكن أن يتمتع بدعم الشعوب والحكومات المستقلة. بالطبع، لا نتوقع أن يرضخ الصهاينة الغاصبون له بسهولة، وهنا يتكون دور الحكومات والشعوب ومنظمات المقاومة ويكتسب معناه.

الركن الأهم لدعم الشعب الفلسطيني هو قطع الدعم للعدو الغاصب، وهذا هو الواجب الكبير الذي يقع على عاتق الحكومات الإسلامية. الآن وبعد نزول الشعوب إلى الساحة وشعاراتهم المقتدرة ضد الكيان الصهيوني بأي منطق تواصل الحكومات المسلمة علاقاتها مع الكيان الغاصب؟ إنّ وثيقة صدق الحكومات المسلمة في مناصرتها للشعب الفلسطيني هو قطع علاقاتها السياسية والاقتصادية الجلية والخفية مع ذلك الكيان. فالحكومات التي تستضيف سفارات الصهاينة أو مكاتبهم الاقتصادية لا تستطيع أن تدعي الدفاع عن فلسطين، وأي شعار معاد للصهيونية لن يأخذ منهم على مأخذ الجد والحقيقة.

إنّ منظمات المقاومة الإسلامية التي تحملت في الأعوام

الماضية أعباء الجهاد الثقيلة لا تزال اليوم أيضاً أمام هذا الواجب الكبير. فمقاومتهم المنظمة هي الذراع الفاعل الذي بمقدوره أخذ الشعب الفلسطيني نحو هذا الهدف النهائي. فالمقاومة الشجاعة للجماهير التي احتلت ديارهم وبلادهم معترف بها رسمياً وممدوحة ومشاد بها في كل المواثيق الدولية. إنّ تهمة الإرهاب التي تطلقها الشبكات السياسية والإعلامية التابعة للصهيونية كلام أجوف لا قيمة له. الإرهابي العلني هو الكيان الصهيوني وحماته الغربيون، والمقاومة الفلسطينية حركة إنسانية مقدسة مناهضة للإرهابيين.

ففي هذا الخضم، من الجدير بالبلدان الغربية أيضاً أن تكون لها نظرتها الواقعية. فالغرب اليوم على مفترق طرق، إما أن يتخلى عن منطق القوة الذي استخدمه زمناً طويلاً ويعترف بحقوق الشعب الفلسطيني، ولا يواصل اتباع المخططات الصهيونية التعسفية اللاإنسانية أكثر من هذا، وإما أن ينتظر ضربات أقسى في المستقبل غير البعيد. وهذه الضربات الشالّة ليست مجرد السقوط المتتابع للحكومات المطيعة لهم في المنطقة الإسلامية، بل إنما هو يوم تدرك الشعوب في أوربا

وأمريكا أن أغلب مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية نابعة من الهيمنة الأخطبوطية للصهيونية الدولية على حكوماتهم، وأنّ ساستهم يطيعون ويسلمون لتعسف أصحاب الشركات الصهيونية المصاصة للدماء في أمريكا وأوربا من أجل الحفاظ على مصالحهم الشخصية والحزبية، فسوف يخلقون لهم جحيماً لا يمكن تصور أي سبيل للخلاص منه.

يقول رئيس جمهورية أمريكا إنّ أمن إسرائيل هو خطّنا الأحمر. من الذي رسم هذا الخط الأحمر؟ مصالح الشعب الأمريكي أم حاجة أوباما الشخصية للمال ودعم الشركات الصهيونية للحصول على كرسي الرئاسة في الدورة الرئاسية الثانية؟ إلى متى ستستطيعون خداع شعبكم؟ ماذا سيفعل الشعب الأمريكي يوم يدرك عن حق أنّكم رضيتم بالذلة والتبعية والتمرّغ في التراب أمام أرباب المال الصهاينة، ونحرتم مصالح شعب كبير أمام أقدامهم من أجل البقاء في السلطة أياماً إضافية؟

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، اعلموا إنّ هذا الخط الأحمر لأوباما وأمثاله سوف يتحطم على يد الشعوب المسلمة الثائرة.

ما يهدد الكيان الصهيوني ليس صواريخ إيران أو جماعات المقاومة حتى تنصبوا أمامه درعاً صاروخياً هنا وهناك. التهديد الحقيقي والذي لا علاج له هو العزيمة الراسخة للرجال والنساء والشباب في البلدان الإسلامية الذين لم يعودوا يريدون أن تتحكم فيهم أمريكا وأوربا وعملاؤهم، ويفرضون عليهم الهوان.

وبالطبع، فإنّ تلك الصواريخ سوف تؤدي واجبها متى ما ظهر تهديد من قبل العدو.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

والسلام عليكم ورحمة الله.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الروم، الآية: ٦٠.

إرشادات ثورية[1]

أولاً: إن نهضة الشعوب هي في الحقيقة حرب بين إرادتين: إرادة الشعب وإرادة أعدائه. وكل جانب كان أكثر وأقوى عزة وأكثر تحملاً للصعاب فهو منتصر حتماً. يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

ويخاطب رب العالمين رسوله بالقول: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾[3].

فالعدو يسعى بممارسة القوة والخداع أن يوهن من إرادتكم فاحذروا من ضعف إرادتكم.

ثانياً: إنّ العدو يحاول بث اليأس من تحقيق أهدافكم بينما

---

(١) من كلمات الإمام الخامنئي، بتاريخ: ١٤٣٢/٢/٣٠هـ.ق.

(٢) سورة فصلت، الآية، ٣٠.

(٣) سورة الشورى، الآية، ١٥.

الوعد الإلهي يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١].

فثقوا ثقة تامة لا يعتريها تردد بوعد الله المؤكد حيث يقول عزّ من قائل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢].

ثالثاً: لا تثقوا بما يلعبه الغرب وأمريكا من دور وما يقومون به من مناورات سياسية في نهضتكم، فهؤلاء كانوا قبل أيام يدعمون النظام الفاسد وهم اليوم بعد أن يئسوا من الاحتفاظ به راحوا يعزفون على نغمة حق الشعوب. هؤلاء يسعون بذلك أن يبدلوا عميلاً بعميل، وأن يسلطوا الأضواء على بعض الوجوه ليفرضوا عملائهم عليكم. هذه إهانة لمشاعر الشعوب. ارفضوا ذلك ولا تقبلوا بأقل من استقرار نظام كامل مستقل وشعبي ومؤمن بالإسلام.

❁ ❁ ❁

(١) سورة القصص، الآية: ٥.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.